

أكل الجراد بمجتمع الندرة لمدينة عين صالح Eating locusts in the community of Ain Salah

د. عبد الجليل ساقني

المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى آق أخاموك تامنغست (الجزائر)

djalilsocio@gmail.com

تاريخ النشر: 2019 / 11 / 30	تاريخ القبول: 2019/11/20	تاريخ الإرسال: 2019/10/20
-----------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

يتم الحديث في هذه الدراسة عن قضية تاريخية ثقافية بامتياز عرفها سكان مدينة عين صالح الواقعة بوسط الصحراء الجزائرية، وهي ظاهرة أكل الجراد، هذه الحشرة التي تعتبر من الحشرات الضارة التي قد يصعب القضاء عليها بسبب عددها الهائل، وقد اعتمدت على تقنية المقابلة مع عينة ممن عايشوا الظاهرة في فترة امتدت منذ تواجد الاستعمار الفرنسي بالمنطقة إلى غاية التسعينات من القرن الماضي، حيث عرفت المدينة الغزو المتتالي لأسراب الجراد، وقد تطرقت لعناصر مهمة منها: تحليل الطعام سوسيولوجيا، الجوع بمجتمع الندرة، حقائق عن الجراد، أكل الجراد بمدينة عين صالح، ومن خلال هذا توصلت إلى فهم أعمق للظاهرة وكيف تعامل الناس مع هذه الحشرة الضارة واستغلوا الوضع لصالحهم.

الكلمات المفتاح: طعام ؛ مجتمع ؛ جرادة ؛ تراث.

Abstract:

In this study, we talk about a historical cultural issue with distinction known to the inhabitants of the city of Ain Salah in the middle of the Algerian Desert, namely the phenomenon of eating locusts, this insect, which is considered a harmful insect that may be difficult to eliminate because of its huge number, and has relied on the technique of interviewing a sample of those who lived The phenomenon in a period that extended from the presence of French colonialism in the region until the 1990s, where the city knew the successive invasion of locust swarms, and touched on important elements including: analysis of food sociological, hunger in society, facts about locusts, eating locusts in the city of Ain Salah, and through This has come to a deeper understanding of the phenomenon and how people have dealt with this harmful insect and took advantage of the situation to their advantage.

المرسل: djalilsocio@gmail.com

Keywords: Food; Community; Locust; Heritage.



مقدمة:

أشار ماسلو إلى خمس حاجات أساسية للإنسان كان من بينها الحاجات الفسيولوجية متمثلة في التنفس، النوم، الطعام، هذا الأخير الذي يعد أساس حياة الانسان فبدونه لن يقوى على الوقوف أو السير أو القيام بأدواره في مجتمعه، ولأهمية الطعام في حياة البشر سعى الإنسان للبحث عن الغذاء فبدأ بالصيد ثم الزراعة وصولاً لصناعة الغذاء، وصار الانسان يشتري المنتوجات الغذائية جاهزة من الأسواق والمحلات التجارية.

إن الطعام الذي نتناوله نوعه وطريقة تحضيره مؤشر من المؤشرات الدالة على مكانة الفرد في النسق المجتمعي العام، ثم إن الطعام رسالة ود ورسالة سلطة ونفوذ وقوة متى أعطي للغير على سبيل الهدية يحدث بها تتين التواصل في ما بين المعطي والمعطى له، ومن جهة أبرز كلود ليفي ستراوس في المثلث المطبخي كيف أن الطعام لا يخلو من رسائل تفيد التراتب حيناً وتدل على تصور ممكن للحياة أحياناً أخرى، ففي مثلث النية والمطبوخ والمغن يلوح نسق يعكس ثقافة مميزة لمجموعة إنسانية.¹

ورغم هذا إلا أن المكانة الاجتماعية والتراتب قد يزول في زمن المحن والشدائد والتي هي حتمية في نسق المجتمع الذي يتغير من حال لحال، فأتناء فترات الجوع والقحط سعى الإنسان إلى سد رمقه بما توفر لديه من موارد نباتية كانت أم حيوانية، وكمثال على هذا عرفت مدينة عين صالح الواقعة بوسط صحراء الجزائر فترات من الاحتياج دفع بالناس إلى أكل ما كان متوفر من جذور النخيل إلى جلد الحيوانات وحشرات الجراد التي كانت تمر بالمنطقة بشكل إعتيادي مع نهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء.

حيث كان يغطي السرب الواحد من أسراب الجراد الصحراوي مساحة تقدر بحوالي 1200 كيلومتر مربع، ويحتوي الكيلومتر المربع الواحد على حوالي 40-80 مليون فرداً من أفراد الجراد وهذا يقدر بحوالي 95000 طن من حيث الوزن، هذا يعني أن السرب الواحد يحتوي على ما يزيد على 45 بليون فرداً من أفراد الجراد²، وقد عرفت الصحراء الجزائرية عموماً غزو الجراد بأسراب

هائلة إبان الاستعمار وما بعده بقليل حسب روايات بعض السكان، وأثناء دخوله لأراضي منطقة تيديكلت بدون إستئذان تكيف الناس، بحكم الحاجة لصيده وأكله إما كمقبلات وإما كطبق رئيسي، وفي هذا البحث سنحاول الحديث عن تاريخ الجراد بمدينة عين صالح وكيف تم تحويله إلى موائد الطعام ليصبح طعام شعبي بامتياز.

1-الطعام سوسولوجيا :

الطعام هو كل ما يؤكل ويمد الجسم بمصادر الطاقة والعناصر الغذائية الأخرى وقد يحتوي على عنصر غذائي واحد أو أكثر أو على كل العناصر الغذائية تقريبا، فمثلا اللحم يعد طعام وهو يمد الجسم بالبروتين والطاقة وبعض الفيتامينات والأملاح المعدنية،³

لقد تتبعنا الانثروبولوجيا السوسولوجية مسارات الطعام منذ أزمنة الصيد والاقتراس الى أزمنة التثبييل والتثنيكه والتزيين، فعلى طول هذه الانتقالات عرفت الحضارات البشرية الكثير من الاضافات الى آداب المائدة وسلوكيات الغذاء مما جعلنا في النهاية امام جغرافيات لا نهائية من الطبخ وتمنلات الاغذية والاشربة، وبالرغم من اتجاه كثير من المجتمعات نحو تنميط للسلوك الغذائي بسبب العولمة فإن ذلك لا يمنع من استمرارية محلية، لا نتوقف هنا عند مستوى اعداد الطعام وتبادله وترميزه بل يمتد ايضا الى مستوى توضييه وتنظيم اشكال أكله واستعماله، من خلال التفكير في آداب المائدة المتصلة بالجلوس أو غيرها من اكسسوارات الممارسة الغذائية، وذلك وفق قواعد منمطة يجري صوغها باستمرار عن طريق التنشئة الاجتماعية والصياغات الثقافية الممكنة، فأداب وعادات المائدة التي تكون أحيانا حكرا على مجتمعات بعينها وعابرة للثقافات، تعد في صيغها وتفصيلها مداخل مهمة لقراءة النظرة الى الكون التي تميز مجتمعا عن غيره، وتفسر امتدادات وآثار المقدس في تحديد الشكل والمحتوى الغذائي.⁴

إن الافراد في الحياة الاجتماعية لا يتواصلون مع بعضهم بعضا بالكلمات التي ينطقونها بل أيضا بالملابس التي يرتدونها والطعام الذي يأكلونه...الخ⁵ وتقاسم الطعام يعتبر من بين الوسائل الناجعة للحفاظ على إلتحام الجماعة، ويعد من ابرز قنوات التبادل الرمزي القائم على مشاركة الملح يستلزم الوفاء وعدم الغدر لأن عاقبة من يخون مشاركة الملح تكون سيئة، ولهذا تسوغ وتوثق التعاقدات والاتفاقات في الغالب بمشاركة الطعام فهي تعني إلتزاما معنويا لا يمكن التحرر من بركته

أو لعتته في حالة الغدر وعدم الوفاء، وعن طريق القدرات الاطعامية تقاس الوجاهة ويتأتى الاعتراف بالنفوذ ولهذا لم يكن مستبعدا أن تستحضر كثير من الكتابات الاخبارية والمناقبية الكرم الاطعامي كبعد مؤسس للأعلام والأعيان، والواقع أن استعمال الإطعام كألية من أجل تقوية مصادر النفوذ لم يختص بها القادة والأعيان فقد انطلقت الزوايا في البدء ومازالت الى اليوم أماكن لتوفير المأكول والمشرب للفقراء وعابري السبيل، فالإطعام كان من أهم وظائفها وهي العملية التي تجدد سندها في المرتكز الديني الذي يبرر ميلاد الزاوية كرباط روحي، يفترض فيه أن يكون في خدمة الفقراء وعابري السبيل وغيرهم من زوار الزاوية والمقيمين فيها، بل إن شهرة الزاوية تزداد أكثر خلال فترات الجفاف وهو ما تستفيد منه في توسيع قاعدة المريدين، وهو ما سيساعد في تطوير اسسها الاقتصادية، وهنا يقول جاك بيرك عن الزاوية: شكلت دولة ذات سلطة حقيقية لا يشكل فيها الروحي سوى النسخة الراقية لإعادة توزيع الخيرات والأغذية وممارسة التحكيم والشفاعة أو التوسط والحماية وتنشيط دائرة موسعة من الانصار التي ما فتئت تزداد توسعا.⁶

ومن جهة فقد أدى توفر المواد الغذائية إلى الإفراط في استهلاكها وما ترتب على ذلك من ارتفاع في معدلات الإصابة بالأمراض المزمنة غير السارية مثل السمنة وارتفاع ضغط الدم والسكري وأمراض القلب، كما أدى التفاوت الكبير في إمكانية إنتاج الغذاء بين الدول المختلفة إلى حدوث تفاوت هائل في نصيب الفرد من الغذاء الذي تجاوز الاحتياجات في الدول المتقدمة والصناعية وعجز عن تلبية نفس الاحتياجات في الدول النامية والفقيرة، مما انعكس سلبا على الفرد في كلا الجانبين. وينصب اهتمام العاملين في مجال التغذية على استهلاك الغذاء كما ونوعا فالواضح أن مجرد الاهتمام بكمية الغذاء الذي يتناوله الإنسان يوميا لن يضمن التغذية الصحية المتوازنة ما لم يوفر هذا الغذاء للإنسان كل احتياجاته من عناصر الغذاء الأساسية التي يؤدي حدوث نقص في أي منها إلى الإصابة بأحد أمراض سوء التغذية، ويتأثر استهلاك الإنسان للغذاء بمجموعة من العوامل تتفاعل فيما بينها لتؤثر في النهاية على نوع وكمية الغذاء الذي يتناوله الإنسان من مراحل الطفولة المبكرة مروراً بمرحلة المراهقة والشباب وصولاً الى مرحلة الشيخوخة، كما يمتد أثر هذه العوامل ليحدد إستهلاك الغذاء في المناسبات الاجتماعية والدينية المختلفة،

وتؤدي التغيرات الاقتصادية والسكانية إلى حدوث تغيرات جذرية في العادات الغذائية وبالتالي في الحالة التغذوية لفئات المجتمع المختلفة.⁷

2-الجوع بمجتمع الندرة:

تشير نظرية التغير الاجتماعي إلى أن المجتمع يتغير في أحواله كما يتغير الماء في مجرى النهر، ولذلك فاستقراره نسبي بسبب الأزمات وندرة الأشياء التي قد تحل بأي مجتمع باختلاف الزمان والمكان، والندرة النسبية هي عدم قدرة وسائل الاشباع أو الموارد على إشباع رغبات الانسان وحاجاته، وفي اللحظة التي يصير فيها الجوع هو النص الحاضر فإن الإنسان يلجأ إلى الطبيعة لاستغلال ما فيها من أجل النجاة، وهو ما لاح بقوة في أوقات القحط التي تم اللجوء فيها إلى مسلكيات غذائية جديدة تجاوزت في بعض الأحيان ما هو متعارف عليه أو مقبول اجتماعيا، فقد لجأ الانسان في المغرب العربي إلى أكل الجراد والقطط والكلاب وبعض النباتات من قبل القنيط والترفاس والخرشف واللفت المحفور والكرنية والحميضة وقوق الحمير والتين الشوكي والبلوط... الخ وفي هذا الصدد يقول غلال ركوك بأنه بسبب عام القحط فقد أقبل المغاربة على نبات يرني وهي عبارة عن جذور نباتات ذات أوراق عريضة كانت تفور ثم تجف ثم تطحن وبعد ذلك يخلط دقيقها بدقيق الشعير ويعجن منه خبز من العينة الرديئة.⁸

لقد شكل الخبز مادة أساسية في مائدة سكان المغرب العربي فلم يستغن عنه حتى في الفترات الصعبة حيث كان الانسان حريصا على صنعه مما يجمعه من حشائش ونباتات برية اعتاد تكييفها وفق نمط غذائه، وفي زمن المجاعة اعتاد الناس جمع بلوط الغابات وينشروه حتى يجف ثم يدقوه ويخلطوه بحشائش أخرى لصنع دقيق الخبز والرغيف، فهذا الشيخ أبو يعزى لما حبس بداخل صومعة جامع كان معه أقراص من دقيق البلوط فكان يجعل معها أوراق شجرة اللبلاب ويطحنها فإذا صلى المغرب أخذ قدر نصف رطل فيقتات به، كما أقبل الجياع على علف الماشية مثل نبات التافسوت والشيلم التي كانت تطحن وتخبز.⁹

إذا تمكن الجوع من الانسان فإن نظرتة لما حوله من القيم والمثل العليا تتغير بتغير سلوكه وحينئذ لا يتورع عن القيام بأي عمل شاذ أو خارج عن المألوف حفاظا على بني نوعه في إطار الصراع من أجل البقاء، وحينئذ يقبل على أطعمة كانت مصنفة بالأمس القريب في خانة المحظور

والحرام وفق ضوابط المرجعية العقدية السائدة وبالمثل تنتفي في فترات القحط معظم الاعتبارات السلوكية الحضارية المنظمة لشبكة العلاقات الاجتماعية وتتهز قيمها وتنحط ضوابط أنظمتها، هذه التحولات المفاجئة في السلوك الجمعي العام تحت تأثير القحط والمجاعات اعترف بها الدين، ولم يغفل تدبير ظرفيتها الحرجة التي تهدد النوع البشري بالهلاك فأجاز للإنسان إنقاذ نفسه باستهلاك ما يسد به الرمق من الأطعمة المحرمة ويطرد شبح الموت عنها، وفي هذا السياق استنبط الفقهاء أحكام وضوابط لإباحة المحظور حماية للنفس من الهلاك وفق نظرية الضرورة: الضرورات تبيح المحظورات " وقد دل على هذه القاعدة أدلة كثيرة، من الكتاب، والسنة، منها قوله تعالى: (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ)¹⁰

لقد تعاقبت على انسان المغرب العربي نوائب وفواجع أفضت إلى حالات الاضطراب فكان يتحرى في بداية الأزمة ألا يقع في المحظور فأقبل على استهلاك الجراد لأنه حلال ويسد الرمق رغم ان إدامة اكله تورث الهزال، وللتقليل من مضاعفاته الصحية إبتكر الناس طرقا متنوعة في اعداده وتحضيره ولطرد شبح المجاعة والندرة تنافس الناس في جمعه وعرضه في الأسواق لتلبية حاجيات الجوع، وبما انه حلال ومتوفر فقد زاد الاقبال عليه بكثرة حتى أصبح يستهلك في فترات الشدة والرخاء على حد سواء، وبحكم التردد الدوري للجفاف دعا ذلك السكان إلى اتخاذ الجراد وجبة رئيسية في موائلهم وهذا ما أكدته الرحالة بن بطوطة عند زيارته للمناطق الصحراوية للمغرب العربي حيث وجد الناس يأكلون التمر والجراد ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس، إن كثرة الاقبال على الجراد في سنوات الندرة دفعت بعلماء الأغذية إلى تعديل وصفات تقلل من خطورته، منها ان يؤخذ الجراد الكبير فيغلى بمقدار غليتين ثم تزال أجنحته وأرجله ويقلى في الزيت حتى تجف رطوبته.¹¹

3-حقائق عن الجراد:

تعيش الحشرات معنا فوق كوكب الأرض بأعداد رهيبية وبقدرات عظيمة وبإمكانات هائلة وكان أن نشأ صراع بين الانسان والحشرات حيث اعتقد الانسان أنه لكي يحيا آمنا لا بد له من مواجهة الحشرات، وخلال رحلته للتعرف عليها اكتشف أسرارها وعلومها وأدرك أن الحشرات ليست كلها شر، إذ منها ما ينفع بل إن بعضها ضروري لاستمرار الحياة حيث أنها تسهم بدور كبير في

تحقيق التوازن البيئي، ويذهب العلماء في تقدير عدد أنواع الحشرات مذاهب متعددة لكنهم يجمعون على كثرتها نوعا وعددا، إذ يقرر أغلب علماء الحشرات أنه يوجد في عالمنا أكثر من خمسة ملايين نوع من الحشرات ولم يتعرف العلماء إلا على نحو مليون نوع فقط، ويقول الدكتور بريان هوكنج الكندي أن عدد الحشرات رقم يفوق الخيال إذ يبلغ نحو بليون بليون حشرة وإذا ما قدرنا متوسط كل حشرة منها بـ 2.5 ملليجرام نجد أن وزن سكان الأرض من الحشرات يفوق وزن سكان العالم من البشر باثني عشر مرة.¹²

ويعتبر الجراد من الحشرات مفصلية الأرجل وهي الأكثر انواعا وقيل أن عددها تعدى السبع مائة الف نوع (الانواع المعروفة) وتمتاز بصفات عامة مميزة لها وهي¹³:

- ذات هيكل خارجي صلب من الكيتين
- لها القدرة على الانسلاخ
- يتكون الجسم من حلقات تتصل ببعضها البعض والجسم مقسم الى مناطق
- القناة الهضمية كاملة التكوين
- القلب زهري الوضعي والجهاز الدوري من النوع المفتوح
- يتم التنفس بواسطة الخياشيم أو القصبات الهوائية أو الرئات الكتيبة او من خلال الجسم
- الجهاز العصبي متقدم النمو

ويعتبر الجراد الصحراوي أحد انواع عائلة الجراد من رتبة مستقيمة الاجنحة ينتشر انتشارا واسعا في افريقيا واسيا، حيث تضع الأنثى بيضها في التربة الرملية ويبلغ عدد البيض لكل انثى حوالي 260 بيضة ويفقس بعد 15/12 يوم من وضعه إلى حوريات تمر بخمس مراحل تستغرق حوالي أربع أسابيع وهي التي تزحف وتأكل كل ما تجده امامها من النباتات لتتحول او تنسلخ لحشرة بالغة ذكر أو انثى قد تطير أو تعيد تزاوجها وهكذا.¹⁴

ويوجد الجراد الصحراوي في صورتين منعزلة ومتجمعة وهذه الاخيرة التي تعد من اخطر الآفات الزراعية حيث تصيب الكثير من النباتات في كثير من بلدان العالم، وبسبب تلك الاهمية الاقتصادية حظي الجراد الصحراوي باهتمام كثير من الباحثين وبالرغم من وفرة الابحاث المتعلقة

بدراسة ديناميكية المظهر إلا أن الدراسات الفسيولوجية وخاصة المتعلقة بدور الجهاز الهرموني للجراد تعتبر على قدر كبير من الندرة، في الوقت الذي تزداد فيه مخاطر أسراب الجراد الصحراوي والتي تمتد من منطقة لأخرى في قارتي إفريقيا وآسيا، ومن المعلوم أيضا أن الفرمونات تلعب دورا رئيسيا في التخاطب والاتصال بين الحشرات في الصورة المتجمعة للجراد الصحراوي، تساعد هذه الفرمونات على تجمع المزيد من الحشرات التي تكون الأسراب ثم تبدأ هجرتها من مكان لآخر، ومن الجدير بالذكر أن بعض الاحصائيات الناجمة عن مخاطر الصورة المتجمعة للجراد الصحراوي تعتبر بعيدة كل البعد عن أي تصور بل أنها في حقيقة الامر تعتبر دربا من الخيال فعلى سبيل المثال لا الحصر: تصل المساحة المصابة بأسراب الجراد الصحراوي إلى حوالي 32 مليون كلم² منتشرة في ستون بلدا من بلدان قارتي إفريقيا وآسيا، وهذه المساحة تمثل حوالي 20% من مساحة الكرة الأرضية على مستوى العالم.¹⁵



ومن جهة أخرى ورد ذكر الجراد في القرآن في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ)¹⁶، وهنا سلط الله سبحانه الحشرات ومنها الجراد على شكل آفات لمعاينة العصاة لأوامر الرسل والانبياء، وقوله سبحانه: (حُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ)¹⁷.

وإذا رجعنا الى المصادر اللغوية نجد انها تناولت اسم الجراد وأشارت إلى أن اسباب تسميته معتمدة على ما يفعله، فهو يجرد الارض (وجرد الجراد الأرض، وبه سمي الجراد). والعُنْطُبُ: الجراد

الذكر والأنثى عُظُوبِيَّة، والدَّبا الجَرَادُ قبل أن يطير، الواحدة دَبَاءٌ، وأَرْضٌ مَدْيِيَّةٌ، على مَفْعُولَةٍ، إذا أكل الدَّبِي نباته، وللجراد أسماء مختلفة في مراحل نموه: الحَيِّفَان: الجراد أول ما يطير، والقَمَصُ: الجراد أول ما يخرج من بيضه والكُتْفَانُ من الجراد: أول ما يطير وتستوي أجنحته، واطلق على الجراد الأخضر أبو جخادب وهو طويل السيقان، ونجد اسما يتداول ويسمى به سفلة الناس وهو: الغوغاء، وهو اسم يطلق على الجراد أيضا، والجندب هو الذكر من الجراد، ونجد انه اسم لرجل وذكر ان للأصمعي مؤلف تحت عنوان (الجراد)، ولابن دريد كتاب بالعنوان ذاته. وقد ورد ذكر الجراد في مواضع من مصادر عدة، وحيث ان الفقه قد تناول اغلب موضوعات معاش الانسان من حيث: سلوكه، او حاله وحرامه او بما يجب فعله وما يستحب في اغلب الامور التي تمر عليه فقد ذكر امورا تخص الجراد ايضا، فمن المعروف ان المحرم في الحج اذا قتل حشرة فعليه كفارة (لأن الجراد من صيد البر)¹⁸

وفي الامثال احمى من مجير الجراد ومن اوصاف الرجال الشجعان، يطلق لقب (مجير الجراد)، والجراد أصناف مختلفة: فبعضه الكبير، وبعضه الصغير، وله ألوان متعددة فبعضه أحمر وأصفر وأبيض. وكان مسلمة بن عبد الملك بن مروان يلقب بالجرادة الصفراء، وكان موصوفاً بالشجاعة والاقدام والرأي والدهاء، ويستفيض الجاحظ في ما شاهده من طبائع الناس في عصره من اكل الجراد وانواعه وطيبه فيذكر انه كان يؤكل مشويا ومطبوخا، وحرارا وباردا، ومنظوما في خيط ومجعولا في الملة ويؤكل يابساً وغير يابس، وذكر طيب بيض الجراد ولذته لاكله. وكان يقلى الجراد لمحمد بن الحنفية فيأكله، وروي عن كعب الأحبار أن عمر كره أكل الجراد للمحرم ولم يجعل فيه جزاء، ونهى ابن عباس من اخذ الجراد في الحرم.¹⁹

وقد تحدث الحافظ بن عربي المالكي في صحيح الترمذي عن مشروعية أكل الجراد وأتى ذلك في باب أكل الجراد حيث قال: خرج عن أبي يعفور عبد الرحمان بن عبيد بن نسطاس عن عبد الله بن أبي وفي أنه سئل عن الجراد فقال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست غزوات ناكل الجراد هكذا، رواه سفيان بن عيينة، عن أبي يعفور ورواه سفيان الثوري عنه فقال: سبع غزوات وذكر بعد ذلك حديث الدعاء على الجراد بالإهلاك وضعفه، والجراد أشكال منه مأكول ومنه ما لا يؤكل لضرره وقلة فائدته في التغذية ولأجل أكله يفدي في الاحرام وجراد الحجاز كله مأكول وجراد

الأندلس غير مأكول إنما هو ضرر محض والكل يقتل ويدعى عليه لما فيه من فساد الأرزاق في النبات والأشجار والثمار وقطع المعاش وذلك صحيح بين، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطوحال) وفي الموطأ أن عمر رضي الله عنه قال: ياليت عندنا منه قفعة ناكل منه وهي القففة، وفي الدعاء عن الجراد حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم قال: حدثنا زياد بن عبد الله بن علفة عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا على الجراد قال اللهم أهلك الجراد أقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواههم عن معاشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء.²⁰



لقد كان للإنسان علاقة مع الحشرات ومنها الجراد منذ اقدم الازمنة، حيث ذكر في مدونة على ورق البردي ترجع الى 1250 قبل الميلاد جاء فيها ان الدودة اكلت نصف المحصول، إن اثر الجراد وضرره بالغ بسبب قابليته الفائقة على التهام ما يكون امامه من زرع ونباتات وكل ما هو اخضر ولا تسلم منها الاغنام فاذا وقعت عليها ربما اكلت صوفها، وتكون جيوش الجراد سحباً سوداء دون وجود رئيس يقودها مثلما تفعل بعض الطيور، ويرد ذكر الجراد في الغالب مع سنوات الجذب وقلة الاقوات فلا تكاد تذكر سنة قحط وفيضان الا وذكر الجراد معها²¹، ولذا وجب مكافحة هذا الوباء عن طريق حملات متتالية ومستمرة، فكثيراً ما يتردد القول بأن حملة الجراد تماثل الحرب الصغيرة بكل متطلباتها من معلومات واستخبارات ودكاء وسرعة اتخاذ القرار ويحتاج الامر إلى التخطيط المسبق وتجهيز المبيدات الحشرية واستغلال الطائرات وإنشاء هيكل تنظيمي

يشمل تخصيص المسؤوليات والإمداد بالعاملين وتدريبهم²²، وأثناء الحملة يتم مكافحة الجراد بثلاث طرق:

- مكافحة الكيمياء: يتم فيها استعمال المبيدات أو الطعوم السامة
- مكافحة الميكانيكية: تضرب الأغصان أو يحفر خندق أمام زحفه ويرش عند تجمعها في الخندق بالمبيدات أو يحرقه بالنار أو يملأ بالماء.
- استخدام الاعداء الطبيعيين: وجدت العديد من المفترسات التي تأكل الجراد من الضروري وضعها وتوزيعها على أماكن تواجد هذه الحشرة.

4- أكل الجراد بمدينة عين صالح:

عين صالح هي إحدى مدن الجنوب الجزائري التي تنتمي لإقليم تيديكلت أحد أقاليم توات الكبرى والواقعة بوسط صحراء الجزائر، وهي مدينة عريقة تاريخياً بمقومات عديدة من جانب العلم والعلماء، ومن جانب الزراعة والصناعة التقليدية المستمدة من البيئة الصحراوية، ناهيك عن توفرها على ثروات باطنية مثل المياه، الغاز الطبيعي، والنفط.

والنظام الاجتماعي لسكان المدينة كان قائماً على تجمع الأهالي حول الواحات، حيث نجد أن كل واحة تضم قرية أو عدة قرى تسمى قصراً وهو عبارة عن تجمع سكاني يضم مجموعة من العمائر تتمثل في المباني السكنية والواحات والقصبات وموارد السقاية²³، ومن قصور المنطقة نجد: قصر المرابطين: (أهل عزي) وأسس في القرن الرابع الهجري على يد المرابطون .

قصر العرب: (أولاد باحمو والمختار) وقد أسس في القرن الخامس الهجري من طرف الحمّاميد.

الساهلة التحتانية: (أولاد يحيى) وأسسها أولاد بودحان وهم مرابطون .

الساهلة الفوقانية: (أولاد يحيى) خلال 1700م قطنتها قبيلة أولاد يحيى وهم بدو رحل .

حاسي لحجار: (أولاد دحان) سنة 1730م أسسها أولاد دحان .

فقارة العرب: (أولاد المختار) أسسها أولاد المختار خلال 1800م.

فقارة الزوى: (الزوى) قبيلة ظهرت بالمنطقة حوالي 1795م جمع شملها أولاد سيدي الحاج محمد و جداهم سيد الحاج بحوص ينحدرون من الأبيض سيدي الشيخ²⁴.

اقسطن: (أولاد باحمو) سكنها توارق من قبيلة (أكلهم ملا) وعرب ومرابطون حوالي 1730م.

وربما يكره الكثيرون تناول حشرات الجراد، إلا أن سكان منطقة عين صالح يحبون ذلك ويحسون إعداد أطباق مكونها الرئيسي هذه الحشرة، والسبب أنه في فترات سابقة كان الجراد يمر على المنطقة بكثرة ويلتهم ما في الحقول وبسبب نقص الطعام تكيف الناس لأكله، وحسب روايات بعض السكان الكبار في السن والذين عاشوا فترات مرور الجراد بعين صالح كان أهمها عام أمازان قبل الاستقلال، حيث عرفت المنطقة أسراب رهيبية من هذه الحشرات، وما لوحظ عادة بأن الجراد كان يمر بالمنطقة في شهر سبتمبر أو أكتوبر من جهة الشرق أو من الغرب أي من ناحية توات أو من ناحية إيليزي، وبحلوله بالمنطقة كان يبقى لمدة تتراوح بين شهر ونصف إلى شهرين يقتات فيها على كل النباتات الخضراء التي يسقط عليها.

وأثناء هذه الفترة من السنة كان الناس يقبلون على صيد الجراد إما بجمعه في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس لأن البرد يجمده في مكانه، فيقوم السكان بجمعه مباشرة في أكياس كبيرة بالتقاطه من الأرض أو من جذوع النخل والأشجار، ومن لم يدرك هذا الوقت لجأ إلى صيد الجراد بطرق بدائية بسيطة كان أهمها حفرة عمقها قرابة المتر يتم توسيعها في الأسفل بينما يضيق أعلاها بشكل يشبه القلة المصنوعة من الفخار، حيث يوضع بها بعض الأعشاب الخضراء أو بعض البصل المقطع والثوم، فأتثناء سقوط الجراد بهذه الحفرة لن يستطيع الخروج بسبب ضيق المخرج، بعد ذلك يتم جمع ما تم صيده ووضعه بالأكياس.

وحينما كان الجراد يمر بالمنطقة كل عام تقريبا واعتاد الناس على أكله كانوا ينتظرونه في شهري سبتمبر وأكتوبر من كل سنة وإذا ما لوحظ في أماكن قريبة أو سمع بأنه قريب من المنطقة تجهز الناس وفرحوا واستعدوا لوصولهم، فهذا دلالة على أن سكان منطقة عين صالح تعودوا على أكل الجراد حتى أحبوه، فقد كان لا يغيب عن مائدة المنازل، بل حتى الضيوف كان يقدم لهم الجراد مطبوخا مع الشاي مثلما يقدم الفول السوداني في وقتنا هذا، وعند الحديث عن طبخ الجراد وتحضيره فقد تنوعت طرق ذلك فإما أن يتم تحضيره في المقلاة مع بعض الزيت فيتم تناوله مقرمشا مثل البطاطا المقلية، وإما أن يتم غليه في الماء، ويتناوله السكان مباشرة بعد طبخه وقد يتم تجزئته وطحنه في المهراز الخشبي بعد ذلك يمزج مع أطعمة أخرى مثل السفوف، وما زاد عن الحاجة يتم الاحتفاظ به لأوقات لاحقة.

إن تحضير الجراد وإعداده كان يتم بالتعاون بين نسوة الحي والجيران خصوصا عندما تكون الغلة كبيرة، حيث يجتمعن في ساحة منزل (رحبة) ويقومون بتنظيف وطبخه ثم توزيعه على سكان الحي بيت بيت، فرغم أن الجراد كان يهلك الحرث إلا أنه كان يجمع الناس ويتعاونون على فعل الخير ومساعدة الغير، أما في وقتنا الراهن فقد تراجع أكل الجراد لأسباب عدة فأولا لأن الدولة والهيئات العالمية لمكافحة الجراد سعت جاهدة لمحاربه والحد من انتشاره، وفعلنا لوحظ الفرق فلم نعد نشهد هجمات أسراب الجراد بالمنطقة، ثم أن فترات العوز والاحتياج انقضت والناس اليوم في رخاء بتوفر الغذاء بأنواع مختلفة محلية وعالمية.

خاتمة:

لم تكن مدينة عين صالح الوحيدة التي عرفت غزو الجراد وأكله، لكنها تميزت في طرق إعداد وطبخه وتخزينه، وقد ساعد تناوله في علاج العديد من الامراض خصوصا مرض السكري، وهذا وفق روايات لبعض المرضى الذين تناولوا الجراد، فرغم أنها حشرة صغيرة مضرة بالمحاصيل الزراعية إلا ان الدراسات كشفت أنها غنية جداً بالبروتين بنسبة 62%، ودهون بنسبة 17%، ومواد عضوية بنسبة 21%، ومن بين فوائد الجراد أيضا: أنه يمنح الجسم الطاقة والحيوية، يعالج حالات الروماتيزم، يقلل من حدة آلام الظهر، يقلل عسر البول ويخفف من حدة مرض البواسير، وربما هذا ما أدى إلى الانتشار الملحوظ مؤخرا لمحلات طبخ وبيع الحشرات خصوصا بقارة آسيا، فقد تعددت وتنوعت الحشرات التي تؤكل منها الجراد، الدبور الياباني، الصراصير، العقارب...إلخ. لقد تراجعت أسراب الجراد التي تمر بمدينة عين صالح لأسباب عدة حتى أصبحنا لا نشعر بقدمه، ومن يبحث عن هذه الحشرة سيجدها تباع وتشترى بمحلات بيع الأعشاب أو عند بعض السكان ممن قدموا إلى المنطقة من الدول المجاورة مالي أو النيجر.

هوامش البحث:

¹ عبد الرحيم العطري، بركة الأولياء، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء 2016 ص 167

² توفيق علي، أمر براهم، مخاطر الجراد الصحراوي الحقيقية والخيال، مجلة أسبوط للدراسات البيئية، مصر العدد 39 يناير 2014 ص 19

- ³ مجموعة مؤلفين، الغذاء والتغذية، أكاديمية انترناشيونال للنشر والتوزيع، لبنان 2005 ص- ص80-81
- ⁴ عبد الرحيم العطري، نفس المرجع السابق ص27-28
- ⁵ كلود ليفي ستراوس، البنيوية ومشروعها الانثربولوجي، ترجمة ثائر ديب، دار النهار بيروت 1985 ص16
- ⁶ عبد الرحيم العطري، مرجع سابق ص-ص160-164
- ⁷ مجموعة من المؤلفين، الغذاء والتغذية، نفس المرجع السابق ص-ص95-96
- ⁸ عبد الرحيم العطري، مرجع سابق ص115
- ⁹ محمد البركة وآخرون، النظام الغذائي بالمغرب والأندلس، منشورات الزمن، الرباط 2016 ص125
- ¹⁰ القرآن الكريم، سورة البقرة الآية 173.
- ¹¹ محمد البركة وآخرون، نفس المرجع السابق، ص134
- ¹² محمد اسماعيل الجاويش، من عجائب الخلق في عالم الحشرات، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 2006 ص3
- ¹³ مقدمة في علم الحشرات، المؤسسة العالمية للتدريب التقني والمهني، السعودية 2008 ص168
- ¹⁴ اياد يوسف الحاج اسماعيل، بنان راكان دبدوب، حشرات البساتين، جامعة الموصل، العراق 2010 ص23
- ¹⁵ توفيق علي، أمر براهيم، مرجع سابق ص18
- ¹⁶ القرآن الكريم، سورة الاعراف الآية 133
- ¹⁷ القرآن الكريم، سورة القمر، الآية 7
- ¹⁸ عامر عجاج حميد، الجراد في مصادر التراث، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل العراق، العدد16 جوان 2014 ص-ص310-314
- ¹⁹ نفسه ص-ص310-314

- ²⁰ الحافظ بن العربي المالكي، صحيح الترمذي، ج8 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997
ص-ص15-17
- ²¹ عامر عجاج حميد، الجراد في مصادر التراث ص315
- ²² سيمونز م، كريسمان ك، الخطوط التوجيهية الخاصة بالجراد الصحراوي، منظمة الاغذية والزراعة للأمم المتحدة، روما 2001 ص3
- ²³ ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، المجلد الاول، بيروت، 1993 ص676
- ²⁴ التومي الحاج سعيدان، سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، ط 2، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر 2012، ص 34